



مكانة الإنسان بين سيادة الذات وهزيمة النسق: دراسة مقارنة في الفلسفة المعاصرة

مريم علي امحمد التريكي

جامعة صبراتة / قسم الفلسفة - كلية الآداب الجميل

Maryam.atraki@sabu.edu.ly

<https://orcid.org/0009-0004-7630-2766>

The Place of Man Between Self-Sovereignty and the Defeat of the System: A Comparative Study in Contemporary Philosophy

Dr. Maryam Ali Mhammed Al-Turki

University of Sabratha / Department of Philosophy - Faculty of Arts

تاريخ الاستلام: 2026/05/05 - تاريخ المراجعة: 2026/05/28 - تاريخ القبول: 2026/06/07 - تاريخ النشر: 2026/06/16

ملخص

يتناول هذا البحث قضية مكانة الإنسان في الفلسفات المعاصرة بين سيادة الذات وهزيمة النسق، يتمحور هذا الموضوع حول الصراع الأنطولوجي بين "سيادة الذات" ككيان حر وواع ومسؤول، وبين "هزيمة النسق" التي تمثلها البنى (اللغوية، والاجتماعية، والتقنية) التي تسبق الإنسان وتشكله، وهي القضية التي شهدت تحولات جذرية نتيجة التطورات العلمية والتقنية والاجتماعية في القرن العشرين والحادي والعشرين، تكمن إشكالية البحث في رصد الصراع الفكري بين المدارس التي حاولت إعلاء قيمة "الذات" وحريتها كالجودية والشخصانية، وبين المدارس التي أعلنت "موت الإنسان" أو تراجعها لصالح الأنظمة الكبرى (كالبنوية وما بعد الحداثة)، اعتمد البحث على المنهج التحليلي المقارن لتفكيك رؤية كل مدرسة، ومناقشة كيف أثرت التكنولوجيا الحديثة على مفهوم "الإنسانية" في فلسفات "ما بعد الإنسان"، وقد خلص البحث إلى أن الإنسان المعاصر لم يعد يُعرّف بكونه كائناً ثابتاً، بل هو كائن قلق يعيد اكتشاف نفسه في ظل صراعه مع الآلة من جهة، ومع النظم السلطوية من جهة أخرى، مؤكداً على ضرورة صياغة "أسنة جديدة" تحمي كرامة الإنسان في العصر الرقمي.

الكلمات المفتاحية: الانسان - الفلسفة - الذات - النسق.

Abstract

This research addresses the issue of the place of man in contemporary philosophies between self-sovereignty and the defeat of the system. The topic revolves around the ontological conflict between "self-sovereignty" as a free, conscious, and responsible entity, and the "defeat of the system," represented by the structures (linguistic, social, and technological) that precede and shape man. This issue has witnessed radical transformations as a result of scientific, technological, and social developments in the twentieth and twenty-first centuries. The research problem lies in observing the intellectual conflict between schools that have attempted to elevate the value of the "self" and its freedom, such as existentialism and personalism, and schools that have proclaimed the "death of man" or his decline in favor of larger systems (such as structuralism and postmodernism). This research employs a comparative analytical approach to deconstruct the vision of each school of thought and discuss how modern technology has influenced the concept of "humanity" in post-human philosophies. The research concludes that contemporary humans are no longer defined as static beings, but rather as anxious beings constantly rediscovering themselves amidst their struggle with machines on one hand, and with authoritarian systems on the other. It emphasizes the necessity of formulating a "new humanism" that safeguards human dignity in the digital age.

Keywords: Human – Philosophy – Self – System

شهد الفكر الفلسفي المعاصر تحولاً جذرياً في مقارنة مفهوم "الإنسان"، فبعد أن نصبت الفلسفات الحديثة — بدءاً من الكوجيتو الديكارتي وصولاً إلى العقلانية الهيكلية — الإنسان كذات مركزية واعية وسيدة على الكون، جاءت التحولات الفكرية في القرن العشرين لتعيد مساءلة هذه "المركزية البشرية".

لقد انقسمت الساحة الفلسفية المعاصرة إلى جبهتين متصارعتين؛ **الجبهة الأولى** تُمثلها "الوجودية" التي ناضلت من أجل استعادة كرامة الفرد وحريته المطلقة، معتبرة أن الإنسان ليس ماهية ثابتة بل هو مشروع دائم يصنعه بقراراته المستقلة، حيث يجد نفسه ملقى في الوجود ومطالباً بصنع معناه الخاص في وجه العدم. أما **الجبهة الثانية**، فقد تمثلت في "المنعطف البنوي" وما تلاه، حيث أعلن فلاسفة هذا الاتجاه "موت الإنسان" بالمعنى الفلسفي، مؤكدين أن ما نسميه "ذاتاً حرة" ليس في الحقيقة إلا نتاجاً لأنظمة (أنساق) خفية، لغوية واجتماعية ونفسية، تحرك الخيوط من خلف الستار.

إشكالية البحث :

تتمكن إشكالية البحث في محاولة فهم هذه المفارقة: كيف يمكن للإنسان أن يكون حراً ومسؤولاً في عالم تحكمه النُبيّ والأنساق الصلبة؟ وهل تراجع مكانة "الذات" لصالح "النسق" يعني تجريد الإنسان من قيمته الأخلاقية، أم أنه مجرد كشف علمي عن حدود القوة البشرية؟

أهمية البحث :

تكتسب دراسة مكانة الإنسان في الفلسفات المعاصرة أهمية قصوى لأنها لم تعد ترفاً فكرياً، بل ضرورة لفهم الأزمان الوجودية التي يواجهها الفرد في عالم ما بعد الحداثة.

كما أن أهمية البحث تكمن في محاولة إنقاذ الإنسان من الذوبان في الأنظمة الكبرى، وضمان بقائه "فاعلاً" لا "مفعولاً به" في صياغة مستقبله.

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث، عبر منهج تحليلي مقارن، إلى استعراض حجج الوجودية في الدفاع عن سيادة الذات، ومقابلتها بالآطروحات البنوية التي فككت هذه السيادة، وصولاً إلى استشراف رؤية تركيبية تحاول إنقاذ ما تبقى من "الإنسان" في عالم يزداد تعقيداً.

الإطار النظري للبحث :

تتمحور مكانة الإنسان في الفلسفة المعاصرة حول كونه كائناً "متعدد الأبعاد" وفاعلاً حراً يصنع تاريخه، منتقلةً من البحث في ماهيته الثابتة إلى تشريح "الوضع البشري" وصورته المعقدة. تظهر إنسانية الإنسان من خلال وعيه بالذات، قدرته على التخيل والابتكار، وتحويله للواقع، مع التركيز على قضايا الوجود، الحرية، والمسؤولية .

تتعدد نظرات المدارس الفلسفية المعاصرة للإنسان حيث انتقل تعريف الإنسان من كونه "حيواناً عاقلاً" (كما في الفلسفات القديمة) إلى كونه "مشروعاً" أو "علاقة" أو "سلوكاً". لم يعد الإنسان يُفهم كجوهر ثابت، بل ككيان يتشكل باستمرار.

من هنا سنتناول أبرز المفاهيم التي تحدد "معنى" الإنسان في التيارات المعاصرة على النحو التالي :

أولاً: الإنسان كذات حرة (المقاربة الوجودية)

تنبثق المقاربة الوجودية للإنسان من فكرة أساسية هي أن الوجود يسبق الماهية؛ أي أن الإنسان يوجد أولاً، ثم يصنع نفسه ويختار ما سيكون عليه عبر سلسلة من الاختيارات الحرة

1- الوجود يسبق الماهية (الإنسان كمشروع دائم عند جان بول سارتر).

تُعد عبارة "الوجود يسبق الماهية" الركيزة الأساسية للفلسفة الوجودية عند جان بول سارتر وهي تقلب المفهوم التقليدي الذي ساد الفلسفة لقرون.

هذا المفهوم يعني أنه في العادة عندما نصنع شيئاً (مثل سكين أو كرسي) تكون "الماهية" أو "الخطة" موجودة في ذهن الصانع قبل صنع الشيء، أي أن الصانع يعرف وظيفة السكين وشكله قبل أن يُوجد السكين فعلياً⁽¹⁾.

أما بالنسبة للإنسان يرى سارتر أن الأمر معكوس:

1- الوجود : الإنسان يُوجد أولاً، يظهر على المسرح، ويتحرك في العالم.

2- الماهية :لا يوجد "مخطط مسبق" أو "طبيعة بشرية" تحدد من هو هذا الإنسان، هو من يعرف نفسه لاحقاً من خلال خياراته وأفعاله.

من هنا يقول سارتر: "الإنسان ليس شيئاً آخر غير ما يصنع هو نفسه بنفسه."⁽²⁾

ومن خلال هذا المبدأ بما أن الوجود يسبق الماهية، يضع سارتر على عاتق الإنسان مسؤولية هائلة متمثلة في الآتي :

الحرية المطلقة: أنت لست مجبراً على أن تكون "شريراً" أو "ناجحاً" بسبب جيناتك أو ماضيك ، أنت حر في كل لحظة لتعيد اختراع نفسك.

المسؤولية الكاملة: بما أنك أنت من يصنع ماهيتك، فأنت المسؤول الوحيد عن حياتك ، لا يمكنك إلقاء اللوم على الظروف أو القدر.

القلق الوجودي: هذه الحرية ليست ممتعة دائماً؛ فهي تسبب "القلق" لأن الإنسان يدرك أنه لا يوجد مرجع خارجي يملئ عليه ما يفعل، فهو "محكوم عليه بالحرية".⁽³⁾ لهذا يفرّق سارتر بين نوعين من الوجود:

الوجود في ذاته: مثل الجمادات (الحجر، الطاولة)، ماهيتها محددة وثابتة ولا تملك وعياً لتغيير نفسها.
الوجود لأجله: وهو الإنسان، وعي دائم الحركة، "عدم" قادر على اختيار ما سيكون عليه، وبالتالي ماهيته دائماً "قيد الإنشاء".⁽⁴⁾

مما تقدم يمكننا القول أن سارتر يرفض فكرة أننا نولد بـ "قدر" أو "طبيعة بشرية" ثابتة نحن نبدأ من الصفر، ومن خلال سلسلة من القرارات اليومية، نبني الجوهر (الماهية) الذي سنُعرف به في النهاية.

2- القلق والمسؤولية.

أ - القلق :

القلق في الفلسفة هو "نداء الوعي"؛ هو الحالة التي يشعر فيها الإنسان بهشاشة وجوده وقوة حريته في آن واحد، وهو الخطوة الأولى والضرورية نحو حياة تتسم بالأصالة والصدق . ويمكن توضيح أبرز معانيه المعاصرة :

-القلق كيقظة للذات :

القلق في الفلسفة ليس "خوفاً" من شيء محدد، بل هو حالة انكشاف للذات أمام حقيقتها.

- القلق كوعي بالحرية :

يرى سارتر أن القلق هو الثمن الذي ندفعه مقابل حريتنا. عندما تدرك أنك "لا شيء"⁽⁵⁾ (بمعنى أنك لست كائناً محدداً مسبقاً مثل الصخرة)، تشعر بالقلق لأنك أنت من سيبني هذا "الشيء" عبر قراراتك.
مثال: عندما تقف على حافة هاوية، لا تخاف فقط من السقوط (خوف)، بل تقلق من فكرة أنك "قادر" على رمي نفسك (حرية). القلق هنا هو إدراكك لقدرتك المطلقة على الفعل.

- القلق كأداة لانتزاع الذات من "النسق" :

نحن نعيش معظم حياتنا في حالة "سقوط" داخل نسق (الـ "هم" أو الناس)، حيث نفكر ونستهلك كما يريد المجتمع. القلق هو الذي يكسر هذا الانسجام مع العالم اليومي؛ فجأة يبدو كل شيء "غريباً" وغير ذي معنى، هذا القلق هو الذي يعيد الفرد إلى وحدته ويدفعه ليسأل: "من أنا فعلياً بعيداً عن هذا النسق؟".

ب- المسؤولية :

تنتقل المسؤولية في الفلسفة المعاصرة من مجرد "محاسبة قانونية" أو "التزام ديني" إلى كونها جوهر الوجود الإنساني . ففي عالم يغيب فيه اليقين المطلق، يصبح الإنسان هو المصدر الوحيد للقيم والأفعال. وهنا أبرز ملامح معناها المعاصر:

- المسؤولية كالتزام وجودي :

المسؤولية في الفلسفة المعاصرة تتجاوز "المحاسبة القانونية" لتصبح "قدراً إنسانياً".

- المسؤولية الشاملة :

يقول سارتر: "الإنسان مسؤول عن العالم بأسره"⁽⁶⁾ بما أنني حر في تفسير ما يحدث لي، فأنا مسؤول عن كيفية تفاعلي مع الحرب، أو الفقر، أو الظلم.

بمعنى أن عدم التحرك هو "قرار" بحد ذاته، ولذلك لا يمكن للإنسان أن يلقي باللوم على الظروف (النسق) ليهرب من مسؤوليته.

يمكن القول أنه في الفلسفة المعاصرة، وتحديداً في المدرسة الوجودية (سارتر ، هايدجر)، لا يُنظر إلى القلق كمرض نفسي، بل كـ "سمة وجودية" تعكس وعي الإنسان بحريته المطلقة، حيث انتقل القلق والمسؤولية من كونهما "مشاعر نفسية" إلى كونهما "مقولات وجودية" تُحدد مكانة الإنسان في العالم. ويمكن توضيح كيفية ترابط القلق بالمسؤولية فلسفياً:

1. القلق كدليل على الحرية :

يرى سارتر أن القلق هو "وعي الحرية بذاتها" فعندما يدرك الإنسان أنه ليس له ماهية مسبقة (أي أنه لا يوجد قالب جاهز يحدده)، فإنه يشعر بالدوار أمام كثرة الخيارات. هذا "الدوار" هو القلق؛ لأنه يعني أنك وحدك المسؤول عن اختيار طريقك⁽⁷⁾.

2. المسؤولية الشاملة (عن الذات والعالم) :

المسؤولية هنا ليست قانونية فقط، بل وجودية:

بمعنى أنه عندما أختار لنفسي، فأنا أختار "صورة للإنسان" كما ينبغي أن يكون.

هذا الثقل (أن فعلي يمثل البشرية) يحوّل المسؤولية إلى عبء يولد القلق⁽⁸⁾.

في سياق معاصر، انتقل القلق من "القلق الفردي" إلى "قلق وجودي على مستقبل البشرية".⁽⁹⁾ أي أن مسؤوليتنا تجاه التقنية والبيئة تنبع من "خوف عاقل" (قلق) على بقاء النوع الإنساني، مما يجعل المسؤولية واجباً تجاه من لم يولدوا بعد. باختصار القلق هو الثمن الذي يدفعه الإنسان مقابل حريته، والمسؤولية هي الأداة التي تحول هذا القلق من شعور سلبي إلى فعل بناء في الواقع.

ثالثاً : مفهوم "الوجود الأصيل" عند هايدجر

يعتبر مفهوم "الوجود الأصيل" أحد الركائز الأساسية في فلسفة مارتن هايدغر، خاصة في كتابه العمدة "الوجود والزمان".⁽¹⁰⁾

بالنسبة لهايدجر، الإنسان ليس مجرد "شيء" موجود، بل هو "وجود-هنا، وهو الكائن الوحيد الذي يمثل وجوده تساؤلاً بالنسبة له.

ويمكن توضيح هذا المفهوم العميق كالتالي :

- الفرق بين الوجود الأصيل والوجود الزائف

قسم هايدجر نمط حياة الإنسان إلى حالتين:

الوجود الزائف : وهو الغرق في الحياة اليومية والانسحاق وراء "هم" أو "الناس" في هذه الحالة يفعل الإنسان ما يفعله الآخرون، ويفكر كما يفكرون، ويذوب في الجماعة ليتجنب مسؤولية كونه فرداً مستقلاً.

الوجود الأصيل : هو استعادة الذات من الضياع في "الناس". هو أن يدرك الإنسان أنه هو المسؤول عن اختياراته، وأن يعيش بوعي كامل بإمكانياته الخاصة دون الاختباء خلف الأعراف الاجتماعية أو القطيع⁽¹¹⁾.

إذاً كيف نصل إلى الوجود الأصيل؟

يرى هايدجر أن الوجود الأصيل لا يحدث بالصدفة، بل يتطلب "هزات" وجودية معينة مثل:

القلق : ليس الخوف من شيء محدد، بل هو شعور يواجهنا عندما ندرك "عدمية" العالم وتفاهة الانشغالات اليومية. القلق يعيدنا إلى أنفسنا ويجبرنا على مواجهة حقيقة وجودنا⁽¹²⁾.

الوجود نحو الموت : الموت هو الإمكانية الوحيدة التي لا يمكن لأحد أن ينوب عنك فيها. عندما يدرك الإنسان أن حياته محدودة (متناهية)، يبدأ في تقدير "الآن" ويتوقف عن تضييع وقته في الوجود الزائف⁽¹³⁾. الموت هنا ليس تشاؤماً، بل هو محفز لتعيش حياتك بصدق.

لهذا نجد أن هايدجر لا يرى أن "الوجود الزائف" خطيئة أو عيب أخلاقي، بل هو حالة بنوية للإنسان، نحن نقضي معظم حياتنا في الوجود الزائف (نركب المواصلات، نتبع القوانين، نتحدث باللغة العامة)، لكن "الأصالة" تكمن في اللحظات التي نستعيد فيها وعينا ونختار مسارنا الخاص بوعي وشجاعة.

رابعاً: تفكيك المركزية البشرية (المقاربة البنوية)

تعد المقاربة البنوية إحدى أهم اللحظات الفلسفية التي ساهمت في تفكيك المركزية البشرية، وذلك عبر نقل بؤرة التركيز من "الإنسان" كذات واعية ومبدعة، إلى "البنية" كنسق من القوانين والأنظمة التي تحكم الظواهر الإنسانية بشكل موضوعي، حيث تركز البنوية على القوانين الخفية التي تحكم البناء، ممهدة بذلك موت الإنسان لصالح "البنية".

خامساً: موت الإنسان عند ميشيل فوكو: كيف تحل الأنظمة (اللغة، السلطة، المعرفة) محل الذات؟

تبنى ميشيل فوكو مفهوم "موت الإنسان" كفكرة فلسفية تعني زوال الإنسان كذات مركزية ومستقلة في المعرفة، وليس الفناء البيولوجي للبشر.

ويمكن تلخيص أهم النقاط الجوهرية لهذا المفهوم على النحو التالي :

نهاية النزعة الإنسانية : رأى فوكو في كتابه "الكلمات والأشياء" أن مفهوم "الإنسان" هو اختراع حديث ظهر في القرن الثامن عشر نتيجة تحولات في "الإبستيمي" (نظام المعرفة)، وتوقع اختفائه مع تحول هذا النظام⁽¹⁴⁾.

اللغة والبنية : اعتبر أن القواعد اللغوية والأنظمة الاجتماعية (البنى) هي التي تشكل وعي الفرد، مما يجعل الإنسان نتاجاً للنظام وليس صانعاً حراً له⁽¹⁵⁾.

تششتت الذات : بدلاً من فكرة "الأنا" الواحدة، يرى فوكو أن الذات تتشكل وتتفكك عبر علاقات السلطة والمعرفة، فهي "أثر" ناتج عن الخطابات السائدة وليست أصلاً لها⁽¹⁶⁾.

باختصار، "موت الإنسان" عند فوكو هو إعلان عن نهاية عصر كان يُنظر فيه إلى الإنسان كمركز ومصدر وحيد للحقيقة والمعنى.

تأثير "موت الإنسان" على الفلسفة البنوية :

انتقلت البنوية بالمركز من "الفرد" إلى "النظام". بدلاً من السؤال ماذا يقصد الإنسان؟، أصبح السؤال كيف يعمل النظام؟

ويمكن توضيح هذا الانتقال على النحو التالي :

الأسبقية للبنية : في الفلسفة الوجودية (مثل سارتر)، كان الإنسان هو من يصنع نفسه، أما في البنوية، فإن اللغة، والاقتصاد، واللاوعي هي أنظمة سابقة لوجود الفرد وتتحكم في تفكيره.

الإنسان كـ "وظيفة" : توقف البيويون عن التعامل مع الإنسان كخالق مطلق للحضارة، واعتبروه مجرد "نقطة تقاطع" داخل شبكة من القواعد (مثل قوانين اللغة عند سوسير أو القرابة عند ليفي ستروس)⁽¹⁷⁾ بالنسبة لسارتر، لم يكن "موت الإنسان" مجرد نظرية، بل كان "جريمة" فلسفية تلغي حرية الفرد ومسؤوليته. شئ سارتر هجوماً حاداً على فوكو والبيويين، ويمكن تلخيص دوافعه في النقاط التالية:

- 1- وصف سارتر منهج فوكو بأنه يستبدل حركة التاريخ الحية بصور ثابتة ومتلاحقة. رأى سارتر أن فوكو يضع الإنسان في قفص من "البنى" الجامدة، متجاهلاً قدرة الإنسان على التغيير.
 - 2- اعتبر سارتر أن البيوية تحول الإنسان إلى مجرد مفعول به تتحكم فيه اللغة والأنظمة، بينما الوجودية تقوم على أن الإنسان فاعل يصنع نفسه عبر اختياراته.
 - 3- سأل سارتر بسخرية: "إذا كان الإنسان قد مات، فمن الذي يصنع الثورات؟ ومن الذي يغير الأنظمة؟". بالنسبة له، البيوية عجزت عن تفسير التغيير الاجتماعي لأنها ركزت فقط على "الاستقرار" و"النظام"⁽¹⁸⁾.
- وصل الأمر بسارتر أن وصف كتاب فوكو "الكلمات والأشياء" بأنه "آخر متاريس البورجوازية"؛ لأنه كان يعتقد أن نفي "الذات" ونفي قدرة الإنسان على الفعل يخدم الأنظمة القمعية بجعل الناس يشعرون بالعجز عن التغيير⁽¹⁹⁾.
- مما سبق يمكننا القول أنه رغم قوة حجة سارتر الأخلاقية، إلا أن "موت الإنسان" عند فوكو انتصر ثقافياً في الستينيات والسبعينيات، ممهداً الطريق لما يعرف بـ" ما بعد البيوية " ومع ذلك عاد فوكو في أواخر حياته للاهتمام بـ" تقنيات الذات" وكأنه حاول إعادة نوع من الاعتبار للفرد ولكن بطريقة مختلفة عن سارتر.

سادسا : الإنسان كأداة للنسق:

عبارة "الإنسان كأداة للنسق" تلخص ببراعة جوهر الفلسفة البيوية، وتحديداً الرؤية التي قدمها ميشيل فوكو في هذه الرؤية، يتم نزع السيادة عن الإنسان، ليحول من "صانع للنظام" إلى "ترس داخل النظام". يمكن توضيح كيفية تفكيك هذا المفهوم وكيف يتم توظيف الإنسان كأداة داخل الأنسقة المختلفة:

النسق المعرفي (الإبستيمي) عند فوكو :

يرى فوكو أن كل عصر له "نسق معرفي خفي يحدد ما يمكن قوله وما لا يمكن قوله. الإنسان كمنفذ: نحن لا نفكر بحرية، بل نفكر بحرية، بل نفكر من خلال القواعد التي يفرضها النسق المعرفي لعصرنا. اللغة تتحدث بنا: لسنا نحن من نملك اللغة، بل اللغة هي نسق سابق علينا، نحن فقط الأدوات التي تستخدمها اللغة لتعبر عن نفسها⁽²⁰⁾.

النسق الأيديولوجي :

يتمثل النسق الأيديولوجي في التركيز على نقطتين وهما :
استجواب الفرد: النسق (المدرسة، الأسرة، الإعلام) "يستجوب" الفرد ويحوّله إلى "ذات طائفة".
الوظيفة: الإنسان هنا أداة لإعادة إنتاج علاقات الإنتاج. أنت تعتقد أنك تختار مهنتك أو أفكارك بحرية، بينما النسق الأيديولوجي هو الذي أعدك لتكون "أداة" اقتصادية أو اجتماعية محددة⁽²¹⁾.

النسق السلطوي :

في كتابه "المراقبة والمعاقبة"، يشرح فوكو كيف تحول الجسد البشري إلى أداة: الأجساد الطائفة: من خلال المدرسة، المصنع، والثكنة العسكرية، يتم تدريب الإنسان ليكون أداة منتجة وفعالة. البرمجة: يتم برمجة حركات الإنسان وزمنه ليتوافق مع "نسق الإنتاج". هنا، الإنسان ليس غاية في حد ذاته، بل هو وسيلة (أداة) لتعظيم القوة والإنتاج⁽²²⁾.

كيف يشتغل الإنسان كأداة؟

يعمل النسق على تحويل الإنسان إلى أداة عبر ثلاث عمليات أساسية:
النتميط: صهر الفروق الفردية ليكون الجميع قطع غيار قابلة للاستبدال داخل النظام.
الاستدخال: أن يتبنى الإنسان قيم النسق كأنها قيمه الشخصية (فلا يشعر بأنه أداة، بل يشعر بأنه حر)
التهميش: أي عنصر لا يصلح كأداة داخل النسق يتم إقصاؤه (المجنون، الخارج عن القانون، غير المنتج)⁽²³⁾

المقارنة مع الوجودية

بينما صرخ سارتر: "الإنسان مشروع يصنع نفسه (الإنسان غاية)، رد عليه النسقيون: "الإنسان وظيفة داخل بنية" "الإنسان أداة"⁽²⁴⁾.

بناءً على أطروحات الفلاسفة الذين اعتبروا الإنسان "أداة للنسق"، فإن عملية "الخروج" أو المقاومة ليست بالأمر السهل لأن النسق يحيط بالفرد من كل جانب. ومع ذلك، قدم كل منهم "ثغرات" أو مسارات للتحرر من هذه التبعية ويمكن تلخيص هذه الأطروحات على النحو التالي :

لم يؤمن فوكو بالثورة الشاملة التي تقلب كل شيء، بل آمن بـالمقاومات الصغيرة والموضعية حيث قال : "حيثما توجد سلطة، توجد مقاومة"⁽²⁵⁾ ، فالخروج يبدأ من رفض الانصياع للأمناط الجاهزة في السلوك (مثل رفض التصنيفات الطبية أو القانونية المفروضة على الأفراد)

أما هايدجر يرى أن الخروج من سيطرة "الناس يكون عبر التوقف عن العيش كما يريد الآخرون، ومواجهة حقيقة "الموت" كإمكانية خاصة بالفرد وحده. هذا الوعي يكسر هيمنة "النسق العام" (26) ويعيد الإنسان إلى ذاته الأصلية سايعاً : صراع الذات مع "الجهاز" أو "البنية" (كيفية تحول الإنسان إلى رقم في إحصائية) يعتبر صراع "الذات ضد الجهاز" أو النسق (القيمة المركزية في فلسفة ما بعد الحداثة، فبينما كان صراع الإنسان قديماً مع "الطبيعة" أو "القدر"، أصبح صراعه الحديث مع "الأجهزة" التي صنعها بنفسه (الدولة، البيروقراطية، الخوارزميات، التقنية) (27).

ويمكن تحليل هذا الصراع من خلال ثلاثة أبعاد فلسفية رئيسية:

- **صراع الجسد مع "الجهاز الانضباطي"** يرى فوكو أن السلطة لم تعد ملكاً لشخص (ملك أو حاكم)، بل أصبحت "جهازاً" ممتداً في كل مكان (المدرسة، السجن، المصنع) (28)

ويكون هذا صراع بين رغبة الذات في التلقائية، وبين حاجة الجهاز إلى "الأجساد الطائعة". أما أداة الجهاز هي المراقبة المستمرة (البارانويا) التي تجعل الذات تراقب نفسها بنفسها (29).

- **صراع "الإنسان ذو البعد الواحد" مع "الجهاز الاستهلاكي"**

يتحدث هريبرت ماركوزه عن جهاز أكثر خطورة، وهو جهاز "الرفاهية التقنية" الذي يمتص روح التمرد لدى الإنسان. بمعنى أن الجهاز هنا لا يقمعك بالسجن، بل "يخنقك" بالملذات والاحتياجات الزائفة.

فتكون النتيجة أن تفقد الذات قدرتها على النقد (تصبح ذات بُعد واحد) لأنها أصبحت أداة داخل "جهاز الإنتاج والاستهلاك" (30).

- **صراع "الدازين" مع "الجهاز التقني"**

حذر هايدجر من أن التقنية ليست مجرد "الات"، بل هي "طريقة تفكير" تحول العالم كله (بما في ذلك الإنسان) إلى "رصيد احتياطي" أو مادة خام (31).

بمعنى أن الذات تحاول استعادة "وجودها الأصلي"، بينما يحاول الجهاز التقني تحويلها إلى مجرد "رقم" أو "بيانات" قابلة للمعالجة.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذه الحالة كيف تنعكس هذه الصراعات في الواقع المعاصر؟

في العصر الرقمي، اتخذ الصراع شكلاً جديداً يسمى "صراع الخوارزمية ضد الإرادة:" ويمكن تلخيص هذا الصراع من خلال نقطتين كالآتي :

1- **التمييز:** الجهاز (المنصات) يضعك في "فقاعة" بناءً على بياناتك، مما يقتل قدرة الذات على التعرض للأفكار المختلفة.

2- **الاستلاب:** الجهاز يعرف ما تريد قبل أن تعرفه أنت، مما يلغي لحظة "الاختيار الحر" التي هي جوهر الذات (32).

ثامناً : محاولات التركيب (رؤية نقدية)

تُمثل محاولة التركيب واحدة من أدق الإشكاليات في الفلسفة المعاصرة، حيث يسعى هذا التوجه لنقد "المركزية الذاتية" دون السقوط في "العدمية الإنسانية."

1- **نقد "تأليه الذات" عند الوجوديين و"تغيب الذات" عند البنيويين.**

تتمحور الوجودية (خاصة سارتر) حول نقد تأليه الإنسان بإعلاء حرية الفرد ومسؤوليته المطلقة في خلق معناه الخاص بدلاً من القيم الجاهزة، بينما تسعى البنيوية (مثل ليفي شتراوس) إلى تغيب الذات الواعية عبر اختزالها في أنظمة وقوانين موضوعية مهيكلة (لغة، ثقافة) تحدد السلوك الإنساني، مما يجعله نتاجاً للبنية لا صانعاً لها (33).

تقوم الفلسفة الغربية المعاصرة على مراجعات جذرية لمفهوم "الإنسان" وعلاقته بالمطلق، حيث يظهر تباين حاد بين الوجودية والبنيوية في مقاربة الذات والسيادة.

يرى الوجوديون (خاصة التيار الملحد مثل سارتر) أن استعادة الإنسان لحيته تتطلب نفي أي سلطة مفارقة (إلهية) تنوب عنه في صنع ماهيته.

أسبقية الوجود على الماهية: ينطلق سارتر من فكرة أن الإنسان يُوجد أولاً ثم يعرف نفسه بأفعاله. وجود "خالق" يعني وجود "تصميم مسبق"، مما يلغي الحرية المطلقة (34).

تأليه الإنسان لذاته: الوجودية لا تنفي الإله لترك الفراغ، بل لتحميل الإنسان المسؤولية الكاملة. يصبح الإنسان هو "المشروع" الذي يخلق قيمه بنفسه، وهو نوع من "التأليه الذاتي" حيث لا مرجعية سوى الإرادة البشرية (35).

2- **تغيب الذات عند البنيويين**

جاءت البنيوية (ليفي شتراوس، فوكو، ألتوسير) كرد فعل عنيف على النزعة الإنسانية والوجودية، معلنة ما يسمى بـ "موت الإنسان."

سلطة النسق: ترى البنيوية أن الفرد ليس "ذاتاً حرة" كما يدعي الوجوديون، بل هو مجرد "وظيفة" داخل نظام (لغوي، اجتماعي، أو اقتصادي) (36).

الذات كأوهام: الإنسان لا يتكلم اللغة، بل "اللغة هي التي تتكلم عبره"، الوعي والحرية مجرد آثار جانبية لتقاطعات بنوية معقدة.

تعقيب الفاعلية: بدلاً من الإنسان الذي يصنع التاريخ (سارتر)، تركز البنيوية على اللاوعي البنيوي الذي يحرك الأفراد دون إدراك منهم⁽³⁷⁾.

3- أثر هذا الصراع على مكانة الإنسان في الفكر المعاصر

أدى الصراع بين المركزية الوجودية التي تعظم الذات والتقويض البنيوي التي تنفيها إلى خلخلة صورة "الإنسان" التقليدية في الفكر المعاصر.

ويمكن تلخيص هذا الأثر في النقاط التالية:

- الانتقال من "الفاعل" إلى "المفعول به":

تراجعت فكرة الإنسان ككائن "سيد لمصيره" و"صانع للتاريخ" لصالح فكرة الإنسان كمنتج للأنظمة. في الفكر المعاصر، أصبحنا ننظر إلى الفرد كتقاطع لشبكات اللغة، والاقتصاد، والبيولوجيا، مما قلل من بريق "البطولة الفردية" التي نادى بها الوجودية⁽³⁸⁾.

- ولادة "ما بعد الإنسانية":

مهد هذا الصراع لظهور تيارات ترى أن "الإنسان" ليس مفهوماً ثابتاً، بل هو مفهوم تاريخي مؤقت. أدى نقد البنيويين للذات إلى قبول فكرة تفكيك المركزية البشرية، مما سمح بظهور اهتمامات جديدة مثل حقوق البيئة، والذكاء الاصطناعي، والاندماج مع الآلة⁽³⁹⁾.

- أزمة المعنى والقيم:

الوجودية تركت الإنسان وحيداً أمام عبء خلق قيمه الخاصة (مما أدى للقلق والعبثية)، أما البنيوية سحبت منه حتى هذه القدرة، واعتبرت القيم مجرد "إفرازات ثقافية". هذا التدافع جعل الإنسان المعاصر يعيش أزمة هوية؛ فهو لا يريد التخلي عن حرته، لكنه يدرك تماماً مدى ارتهانه للقوى الخفية (التكنولوجيا، الإعلام، الرأسمالية)⁽⁴⁰⁾.

- تحول "الحرية" إلى "مقاومة"

لم تعد الحرية في الفكر المعاصر تعني "الخلق من عدم" كما عند سارتر، بل أصبحت تعني المقاومة داخل الأنساق، فبعد أن أثبتت البنيوية سيطرة الهيكل، صار همّ الفلسفة المعاصرة (مثل فوكو المتأخر) هو البحث عن ثغرات داخل هذه الأنظمة لممارسة نوع من "الجماليات الذاتية" أو الاستقلال النسبي⁽⁴¹⁾.

نتج عن هذا التوتر تحول في مفهوم الإنسان؛ من "كائن مركز" يسيطر على الطبيعة، إلى "ذات سياقية" تدرك حدودها وتجد حرته في "المقاومة" الواعية من داخل الأنساق، لا سيما في ظل "النسق الرقمي" الذي يهدد بتشييء الكائن البشري.

لهذا فإن مكانة الإنسان المعاصر ليست حالة ثابتة، بل هي عملية مستمرة من التفاوض؛ فالإنسان هو الكائن الذي يدرك قوة النسق لكنه يرفض الهزيمة المطلقة أمامه، مستعيداً سيادته عبر "الأصالة" و"الوعي النقدي".
مما تقدم يتضح لنا بأن الإنسان في الفكر المعاصر كائناً "منزوع السحر"؛ لم يعد إلهاً للأرض كما أرادت الوجودية، ولم يعد مجرد آلة صماء كما صورتها البنيوية المتطرفة، بل هو كائن يحاول تعريف نفسه في ظل توازن قلق بين إرادته الشخصية والقيود البنيوية المحيطة به.

تعقيب:

إن مكانة الإنسان في الفكر المعاصر تعيش حالة من "التوتر الوجودي"؛ فبعد أن أعلنت الوجودية "تأليه الذات" بجعلها المصدر الوحيد للمنى والقيم، جاءت البنيوية لتقلب الطاولة معتبرة الإنسان مجرد "وظيفة" أو "أثر" داخل أنظمة لغوية واجتماعية سابقة عليه. هذا الصراع أدى إلى ولادة رؤية معاصرة ترى الإنسان كائناً علانقياً لا هو بالسيد المطلق (كما توهمت الوجودية) ولا هو بالعبد المسلوب (كما بلغت البنيوية).

الإنسان المعاصر اليوم يُعرّف من خلال "الحرية المقيدة"؛ فهو يتحرك داخل أنساق (تكنولوجية، اقتصادية، لغوية) تسبق وجوده وتؤطر تفكيره، لكنه يمتلك في الوقت ذاته قدرة على المقاومة وإعادة التأويل من داخل هذه الأنساق نفسها. وبذلك، تحولت مكانة الإنسان من "مركزية الذات" إلى "فاعلية الذات داخل النسق"، حيث لا تتحقق إنسانيته بنفي الأنظمة، بل بفهم قوانينها ومحاولة التمايز عنها.

خاتمة

في ختام هذا البحث الذي استعرضنا فيه مكانة الإنسان بين سيادة الذات وهزيمة النسق، يمكننا القول إن الفلسفة المعاصرة لم تكن مجرد ترف فكري، بل كانت مرآة تعكس أزمة الإنسان في عصر التحولات الكبرى. لقد كشفت الدراسة أن الصراع بين الوجودية والبنيوية ليس مجرد اختلاف في وجهات النظر، بل هو تصادم بين رؤيتين للكون:

1. **الرؤية الوجودية (سارتر):** التي حاولت إنقاذ الفرد من الغرق في المادية والآلية، مؤكدة أن الإنسان يظل "قيمة" مطلقة لا يمكن اختزالها، وأن حريته هي الحصن الأخير ضد التشييؤ.
 2. **الرؤية البنيوية (فوكو):** التي قدمت نقدًا جذريًا لهذه "الأسئنة"، موضحة أن ادعاء الحرية المطلقة قد يكون وهمًا يخفي خلفه خضوعاً غير واع لأنساق اللغة والسلطة والمعرفة.
- من هنا يتضح لنا أن مكانة الإنسان في الفكر المعاصر لا تكمن في الانتصار لإحدى المدرستين على حساب الأخرى، بل في الاعتراف بأن الإنسان كائن "بين بين"؛ فهو ذات تملك القدرة على المبادرة (كما تقول الوجودية)، لكنها ذات تتحرك دائماً داخل شروط وقوانين مسبقة (كما تقول البنيوية). إن "موت الإنسان" الذي أعلنه فوكو لم يكن نهاية للكائن البشري، بل كان نهاية لمفهوم معين عن الإنسان "المتعالي" لصالح إنسان أكثر واقعية، يدرك حدود قوته ويتصالح مع قيوده.

توصيات البحث

- يُوصي البحث بضرورة صياغة "أسئنة جديدة" تأخذ بعين الاعتبار المكتشفات البنيوية والتقنية دون أن تفرط في جوهر الكرامة والمسؤولية الفردية.
- التركيز على استعادة مفهوم "المسؤولية الفردية" و"الحرية" كمواجهة للعدمية المعاصرة، مع التأكيد على أن الذات ليست "جزيرة معزولة" بل كيان يتشكل من خلال الالتزام بقضايا العالم.
- استثمار الأدوات البنيوية لفهم "اللاوعي المعرفي" الذي يحكم تفكيرنا، مع الحذر من الانزلاق نحو "موت الإنسان" التام؛ فالبنيوية يجب أن تُفهم كإطار للفعل لا كسجن له.
- تبني رؤية "ما بعد بنيوية" مثل أفكار فوكو أو دريدا التي تعترف بقوة النسق لكنها تبحث عن "الثغرات" و"الهوامش" التي يمكن للإنسان من خلالها ممارسة سيادته وإثبات حضوره.
- فتح آفاق للدراسات المستقبلية حول كيفية استعادة "الذات" في ظل هيمنة الخوارزميات والذكاء الاصطناعي التي تمثل النسق المعاصر الأقوى.

المراجع

- 1- جان بول سارتر ، الوجودية نزعة إنسانية ، ترجمة محمد شريف ، 1946 ، ص 120
- 2- المرجع السابق ، ص 126
- 3- جان بول سارتر ، الوجود والعدم ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، منشورات دار الآداب - بيروت ، ط 1 1966 ، ص 210
- 4- المرجع السابق ، ص 214
- 5- جان بول سارتر ، نقد العقل الجدلي ، ترجمة محمد أمين ، المجلد 2 ، دار غاليمار ، 1985 ، ص 320
- 6- المرجع السابق ، ص 326
- 7- جان بول سارتر ، الكينونة والعدم ، ترجمة نيقولا متيني ، منظمة الحرية للترجمة - بيروت ، ط 1 ، 2003 ، ص 73 .
- 8- أحمد عبد الحلیم ، سارتر والفكر العربي المعاصر ، دار الفارابي - لبنان ، ط 1 ، 2011 ، ص 90 .
- 9- مارتن هايدجر ، مدخل الى الميتافيزيقا ، ترجمة عادل نبيل ، دار الفارابي - بيروت ، ط 1 ، 2015 ، ص 214
- 10- هايدجر ، الوجود والزمان ، ترجمة فتحي المسكيني ، دار الكتاب الجديد ، 1927 ، ص 225
- 11- المرجع السابق ، ص 228
- 12- هايدجر ، مدخل الى الميتافيزيقا ، مرجع سابق ، ص 220
- 13- هايدجر ، الوجود والزمان ، مرجع سابق ، ص 232
- 14- ميشيل فوكو ، المعرفة والسلطة ، ترجمة عبد العزيز العيادي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1994 ، ص 16 ،
- 15- ميشيل فوكو ، الكلمات والأشياء ، ترجمة مطاع صفدي ، مركز الإنماء القومي ، ص 253 .
- 16- المرجع السابق ، ص 254 .
- 17- ميشيل فوكو ، حفريات المعرفة ، ترجمة سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي - بيروت ، ط 2 ، 1987 ص 218
- 18- سارتر ، الوجودية نزعة إنسانية ، مرجع سابق ، ص 190
- 19- سارتر ، الوجود والعدم ، مرجع سابق ، ص 220
- 20- ميشيل فوكو ، المعرفة والسلطة ، مرجع سابق ، ص 17 - 18
- 21- ميشيل فوكو ، إرادة المعرفة ، ترجمة مطاع صفدي ، مركز الإنماء القومي ، ج 1 ، 1995 ، ص 90
- 22- ميشيل فوكو ، المراقبة والمعاقبة ، ترجمة علي مقلد ، مركز الإنماء القومي ، 1990 ، ص 62
- 23- محمود رجب ، الاغتراب ، منشأة المعارف ، ج 1 ، ط 3 ، 1988 ، ص 73
- 24- عبد الرحمن بدوي ، دراسات في الفلسفة الوجودية ، ص 389
- 25- ميشيل فوكو ، إرادة المعرفة ، مرجع سابق ، ص 110
- 26- فتحي المسكيني ، نقد العقل التأويلي ، مركز الإنماء القومي ، ط 1 ، 2005 ، ص 200
- 27- عبد الوهاب المسيري ، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان ، دار الفكر دمشق - سوريا ، ط 1 ، 2002 ، ص 127

- 28- عوض أديب ، ميشيل فوكو في الفكر السياسي ، 2011، ص 98
- 29- فوكو ، المراقبة والمعاقبة ، مرجع ساق ، ص 70
- 30- هربرت ماركوز ، الإنسان ذو البعد الواحد ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الآداب ، 1964 ، ص 231
- 31- مارتن هايدجر ، مقال (السؤال عن التقنية - الحقيقة - الوجود) ، ترجمة محمد سبيلا وعبد الهادي مفتاح المركز الثقافي العربي ، بيروت - لبنان ، ص 83 .
- 32- محمد الشيخ ، نقد الحداثة في فكر هايدجر ، ص 614
- 33- عبد الرزاق الدواي ، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت ، 2000 ، ص 183
- 34- سالم يفوت ، المناحي الجديدة في الفكر الفلسفي المعاصر ، دار الطليعة - بيروت ، ط 1 ، 1999 ، ص 9- 10
- 35- عبد الرزاق الدواي ، موت الإنسان ، مرجع سابق ، ص 187 .
- 36- سمير عبد الفتاح ، البنوية اتجاه في النقد الأدبي الحديث ، مجلة العربي ، العدد 419 ، 1993 ، ص 614
- 37- المرجع السابق ، ص 617
- 38- طه جابر العلواني ، الأزمة الفكرية ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، ط 4 ، 1994 ، ص 4039
- 39- عوض ، أديب ، ميشيل فوكو: في الفكر والسياسة ، دار الطليعة ، 2011 ، ص 60
- 40- عبد الوهاب جعفر ، البنوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو ، دار المعارف ، ط 1 ، ص 156
- 41- مصطفى غالب ، الوجودية ، دار ومكتبة الهلال - بيروت ، 1986 ، ص 155
- 42- علي أحمد مطلب أبو بن. (2026). فلسفة الجمال والفن في الفلسفة الغربية كانط نموذجاً 41804-172م. مجلة الفاروق للعلوم , 2 (1), 790-801.